سكانهـا مع الأيام حتى بلغ مليونًا ونصف ليس بينهم من هجج الهنود ألّا ١٣٠٠٠ هندي امّا الكاثوليك هناك فصار الآن عددهم ٢٥٠٠٠٠

هذا نظر اجمـالي في اهمّ ما حدث في عالم الكون في سنتنا المنصرمة ولو سمح لنا المكان لذكرنا امورًا غيرهـا لا تخلو من الاهميّة كارتداد الملكة ناتالي للدين الكاثوليكيّ ووفاة ملك زنجبار وغير ذلك ممّا نضرب عنهُ الصفح اقتصارًا ولله الحمد

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (تابع لما سبق)

٦ انتشار الأمّة المارونيّة في لبنان

للامة المارونيّة في لبنان مقام ممتاز لتوفُّر عددها فيهِ ولما بينها وبين هذا الجبل من العلاقات التاريخية المتواصلة حتى جاز لها انْ تعتبر لبنانَ كوطنها الخاصّ. ومن ثم لا يسعنا نصرف عنها النظر في غضون تسريح ابصارنا في آثار لبنان

وليس كلامنا في الأمّة المارونية تاريخيًا اذ لم نتوخَّ في مقالاتنا تاريخ الجبـل بل آثارهُ ولاسيّما ان تاريخ هذه الطائفة قد شاع اليوم فلا حاجة الى اعادة ما يعرفهُ القرّاء. (١ وعليهِ فنقتصر في هذا الباب على ما يختصّ بنشوء الطائفة وانتشارها في لبنان فنُعدّ بهذه الدروس الخاصّة الموادّ لتاريخ اعمّ واكمل. وفي الفصول السابقة توطئة لهذا الباب وفيها ذكرنا الشعوب الذين جعلوا قبل الموارنة سكناهم في لبنان. ومنهم من خلّف فيهِ شُعَبًا من عُنصره كالمردة والجراجمة بقي منهم فئات في القسم الثـاني من القرن السابع الذي نخصُّهُ الآن بالبحث

---

١) راجع تاريخ الطائفة المارونية للدويهي الذي نشرهُ جناب الاستاذ العـالم رشيد افندي الشرتوني

وكان الموارنة في ذلك العهد عبارة عن مجموع زُمَر آراميَّة لم يمسَّها العنصر اليوناني وتمدُّنهُ تقيم خصوصاً على مقربة من أفامية في جهات دير مار مارون ومنهُ اتَّخذوا اسمهم. ومن ثم انتشروا في وادي العاصي وخصوصاً في معرَّة النعمان وفي شيزر وحماة وحمص كما يظهر من نصّ للمسعودي ورد في كتابهِ المعنون بالتنبيه والاشراف ألمَعْنا اليهِ غير مرَّة

واذا راجعنا اقاويل قدماء المؤرخين كابن العبري في تاريخهِ الكنسي السرياني (١ وابن بطريق (٢ وغيرهما وجدنا الموارنة في مقامات أُخرى ارقى شمالاً كمنبج وقنَّسرين والناحية المعروفة بالعواصم. ومن المحتمل ايضاً انَّهم كانوا في انطاكية وجوارها لانَّ انطاكية تُعدّ كحاضرة هذه الناحية وفيها تدخل مدينة قورس المتكرّر ذكرها في ترجمة القديس مارون لتاودوريطس اسقف هذه المدينة (٣. وكتبة الموارنة يوافقون على انتشار طائفتهم في تلك الانحاء وشهاداتهم في ذلك صحيحة مستندة الى نصوص وضعيَّة لا تُنكر. ونحن اوَّل من يرضى بمثل هذه الشهادات المؤيدة بالبرهان

وان سأل سائل هل يُعرف عدد هذه العشائر المارونيَّة المستعمرة في سوريَّة الشماليَّة وسوريَّة الوسطى. اجبنا انهُ ليس في وسعنا ان نعيّن ذلك بالتدقيق لكنَّهُ يؤخذ من نبذة سريانيَّة تاريخية اوردها المشرق في سنتهِ الثانية (ص ٢٦٧) نقلاً عن المجلَّة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG,1875) انَّ هذا اللفّ كان ذا عدد وافر اذ حضر بصفة فرقة دينيَّة امام الخليفة معاوية فجرى بينها وبين اليعاقبة جدال كانت فيهِ الدَّولة على اليعاقبة. وكان اصحاب هذه البدعة قوماً كبيرًا في ذلك العهد فلولا انَّ الموارنة كانوا على نوعٍ ما يعادلونهم عدداً لما حكم لهم الخليفة على اخصامهم

---

١) الجزء الاوَّل منهُ ص ٢٧٠–٢٧٤

٢) راجع تاريخهُ في مجموع الاباء اليونان ج ١١١ ص ١٠٧٧ و ١٠٧٨ ومنهُ في مكتبتنا الشرقية نسخة خطيَّة قديمة ويزعم ابن بطريق انهُ دخل بين الموارنة قوم من الروم لعلهُ يريد الآراميين المتجنسين بالجنسية اليونانية كما كان منهم كثير في سوريَّة. وان صحَّ قولهُ كان لهُ شأن لتقرير العناصر السوريَّة وغيرها

٣) راجع كتاب البلدان لابن رسته (ص ١٠٧) وفتوح البلدان البلاذري وتنبيه المسعودي وغيرهم من كتبة العرب. وقد تبعناهم في كتابة اسم قورس بالسين بدلاً من قورش بالشين وفقاً لفظ الآرامي

وكان دخول الموارنة الى لبنان على رأينا في القسم الثاني من القرن السابع هاجروا الى الجبل من وادي العاصي. وكاني هنا بالقارئ يتعرّض لي فيقول: مالك تذكر مهاجرة الموارنة الى لبنان اليس اصحّ ان يقال انّ سكّان لبنان الاصليين هم الموارنة. فالجواب على انّ مبادئ تاريخ الموارنة الدينيّ تشير صريحاً الى كون هذه الطائفة كانت اوّلاً خارجاً عن لبنان. ومن المعلوم انّهـا تنتسب الى القديس مارون وقد عاش القديس مارون في شماليّ سوريّة في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورس ثم تراها مواصلة سيرها في وادي العاصي في زمن لم نسمع لها بذكر في لبنان. ثم بعد ذلك بمدّة نجد الموارنة يتوقّلون في هذا الجبل مهاجرين اليـهِ من الشمال ونواحي سوريّة المتوسّطة. فلا بُدّ اذن من التسليم بتنقُّل الأمّة. وفي تاريخ تاوفانوس كما في فتوحات البلاذري اشارة الى هذه المهاجرة كما سنبيّن آنفاً

ولكن تُرى ماذا حمل الموارنة الى مبارحة وادي العاصي واستبدال مقاماتهم فيهِ ليسكنوا لبنان. نجيب ان الرأي عندنا انهم عدلوا الى لبنان تملّصاً من اضطهـادات مجاوريهم نخصّ منهم بالذكر اليعاقبة اعداءهم. وكان اليعاقبة في ذلك الوقت اصحاب بطش وسطوة لهم في افامية ونواحيها الكعب الاعلى. وكان لهم قريباً من افامية دير عظيم على اسم ماري بأُسوس (١ بلغ عدد رهبانهِ ٦٣٠٠. ولمّا كان الفريقان على طرَفَيْ نقيض قُضي على الموارنة المهاجرة

وقد بيّنّا ما كان بين الفريقين من العداوة. ولنا على ذلك برهان آخر اقدم عهداً ورد في تاريخ الكنيسة لابن العبري (المجلّد الاوّل ص٢٧٠—٢٧٤) قال انّ في عهد الملك هرقل حدث بين رهبان دير مار مارون واليعاقبـة مشاحنات فانتزع الاوّلون من ايدي اليعاقبة كنائسهم برضى ملوك القسطنطينيّة فحاول اليعاقبة استرجاعها في ايّام معاوية فلم ينالوا بالمرغوب. ولا غرو انّ اليعاقبـة كانوا يترقبون الفرصة ليزاحموا الموارنة شيئاً فشيئاً ويضطرّوهم الى ان يخرجوا من اماكنهم فطلب الموارنة لهم ملاجئ حريزة

١) راجع مقالة الاب شابو في مار بسوس L'abbé Chabot : *La légende de Mar Bassus et de son couvent à Apamée*, p. 55, 60, 63.

٢) انّ في هذه المنازعات بين الموارنة واليعاقبة دليلاً واضحاً على بطـلان مزاعم بعض الكتبة الذين نسبوا للموارنة اضاليل يعقوب البرادعي في طبيعتي المسيح

يحصلون فيها على الدعة والسكينة. ولعلّ خراب دير مار مارون حدث في ذلك العهد وكان بعض اليعاقبة سبباً لخرابه

بيد انّ هذه المهاجرة لم تكن دفعةً واحدة وانّما حدثت في ازمنة متوالية فكان المهاجرون ينتقلون الى لبنان زرافاتٍ زرافاتٍ. وفي عهد المسعوديّ اي في القرن العاشر نجد منهم بقايا في وادي العاصي خارجاً عن لبنان. امّا دخولهم في هذا الجبل فكان في وقت المرّدَة والجراجمة وفيهم يصحّ خصوصاً قول تاوفانس « انّ كثيرين من اهل البلاد احتموا في ذراهم (اي المردة) » وقول البلاذري في فتوح البلدان (١ « انّ جماعة كثيرة من الجراجمة والانباط والعبيد الآباق ضوَوْا الى الروم » اراد بذلك المؤرخ فدعاهم باسم الانباط دلالةً على اصلهم الآراميّ

وكان دخول المؤرخة الى لبنان من الشمال اعني انّهم تبطّنوا وادي الأُرنط فاجتازوا افامية وحماة وحمص الى ان قرّ قرارهم في الجبل. فسكنوا اوّلاً جهاته الشمالية ثم تقدّموا الى اواسطه ثم بلغوا جنوبَهُ. هذا ما يمكن استخلاصهُ من النصوص التاريخيّة التي ورد فيها ذكر انتشار المؤرخة في لبنان

وقد بيّنا في مقالتنا عن سكنى لبنان في قديم الزمان (المشرق ٥ : ٦٤٠) ان مشارف الجبل والجهات المعروفة بالجرد بقيت الى القرن السابع قليلة السكّان كثيرة الغابات. امّا « الوسوط » فكانت مأهولة وان كان اهلها اقلّ عدداً من الارياف والسواحل. فلا مراء انّ المؤرخة سكنوا اعالي لبنان فطوّحا من السكّان. واحتلّوا اوّلاً اودية الجبّة اعني مقاطعات اهدن وبشرّاي وحدَث ولعلّهم لقوا هناك بعض المساكر التي كانت سبقت عهدهم على الاصحّ كقرية اهدن وقرية بشرّاي (٢ وعندنا انّ المؤرخة نزلوا ايضاً في بعض اماكن من منحدر الجبل قريباً من البترون عند دير كفرحيّ القديم (٣. ولعلّ مدينة البترون نفسها اضحت من اوّل مساكن المؤرخة كلّها او على الاقلّ قسم منها

---

١) راجع المشرق (٥ : ١١٣٢)

٢) راجع المشرق (٥ : ٦٤٢) وهناك بيّنا ما يختصّ باهدن وبشرّاي. امّا الحدَث فمن اقدم قرى لبنان ورد اسمها في نزهة المشتاق للادريسي وتكرّر ذكرها في اخبار اصول الطائفة المارونية

٣) راجع المشرق (٦ : ٧٣٨)

فيكون اذن اوّل مركز احتلّهُ الموارنة عند ولوجهم لبنان معاملة الجبّة وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الأمّة المارونية كما اشرنا اليهِ غير مرّة

ومن الحوادث التاريخيّة الاولى التي جرت بعد سكنى الموارنة في لبنان ما ذكرناهُ في مقالتنا عن الجراجمة وهي شكوى اهل الجبل من عامل بعلبك وكان الشيخ الشهير محمّد الاوزاعي ممّن دافعوا عنهم وانتصروا لهم. قال البلاذري في فتوح البلدان (ص ١٦٢) عن محمّد بن سعد عن الواقديّ قال: خرج بجبل لبنان قومٌ شكوا عامل خراج بعلبك فوجّه صالح بن عليّ بن عبد الله بن العباس من قاتل مقاتلتهم واقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم الى قراهم واجلى قوماً من اهل لبنان. فحدثني القاسم بن سلّام انّ محمّد بن سعد حدّثهُ انّ الاوزاعيّ كتب الى صالح رسالة طويلة حُفِظ منها وقد كان من اجلاء الذمّة من جبل لبنان ممّن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجهِ: «ممّن قتلتَ بعضهم ورددتَ باقيهم الى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامّة بذنوب خاصّة حتى يُخرَجوا من ديارهم واموالهم...» (البقيّة للآتي)

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت البسوعيّ (تابع)

الفصل الثالث

مأدبة لوقينيوس فرنطو

كان لوقينيوس فرونطو صاحب المأدبة التي دُعي اليها لوسيليوس رجلًا من اعيان بيروت ممّن تشرئبُّ نحوهم الاعناق وترنو اليهم الابصار. وكان القيصر نيرون منحهُ رتبة الفارس رجاء ان يؤلف قلبهُ فيجتذبهُ الى رومية ويجعلهُ من ندمائهِ لكنّ سراب الرتب المنيفة والالقاب الشريفة لم يكن ليخدعهُ فآثر ان يبقى في مدينتهِ رخيّ البال مأمون الجانب وهو فيها عزيز مكرّم من ان ينتقل الى جوار نيرون فيضيع بين حشمهِ ويتذلّل لمن سبقهُ الى نعمة القيصر

ونِعْم ما فعل فانّ اهل وطنهِ جازوا لوقينيوس عن امانتهِ خيرًا فجعلوا لهُ المعالي